

مِنْ أَجْلِ تَقَاةِ شِيعِيَّةِ زَهْرَائِيَّةِ أَصِيلَةَ مِنْ أَجْلِ نَهْضَةِ تَقَاةِ حُسَيْنِيَّةِ زَهْرَائِيَّةِ مُتَحَضِّرَةَ

مِنْ أَجْلِ وَعْيِ مَهْدَوِيِّ زَهْرَائِيِّ رَاقٍ

بِرَنَامَجِ

قُرْآنِهِم

عَبْدُ الْحَلِيمِ الْغَزِّي

منشورات موقع القمر

بَرْنَامَجُ قُرْآنُهُم

بَرْنَامَجُ تَلْفِزِيُونِي عَرَضَتْهُ قَنَاةُ الْقَمَرِ الْفَضَائِيَّةِ

وَبطَرِيقَةِ الْبَثِّ الْمُبَاشِرِ

الْحَلَقَةُ (12)

يَوْمَ السَّبْتِ

بِتَارِيخِ: 21 شَهْرِ رَمَضَانَ 1438 هـ

الْمُوَاظِقُ: 2017/6/17 م

پا زمرء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

بِرَنَامَج

قُرْآنُهُم

(سُورَةُ الْأَعْرَافِ - الْجُزْءُ التَّاسِعُ)

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "صَلَوَاتُ اللّٰهِ عَلَيْهِم"

سَيِّدِي يَا صَاحِبَ الْأَمْرِ قُرْآنُكُمْ نُورٌ

كَلَامُكُمْ نُورٌ... يَا نُورًا عَلَى نُورٍ...

يا زهراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَقَطَّ وَقَفَّطَ صَلَوَاتُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ..

سورة الأعراف:

وصلنا إلى الآية الخامسة والثلاثين: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية السادسة والثلاثون تُكْمَلُ سياق ما قبلها من الآيات الكريمة، وتتحدث عن عنوانٍ كان أساساً في قصة أبينا آدم: (الاستكبار) إبليس الذي قاده استكباره إلى ما قاده إليه، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ومر الحديث في معنى الآيات، فالآيات في أصلها هي مظاهر الاسم الأعظم.

الاسم علامة، معنى الاسم: العلامة والسمة التي تُمَيِّزُ صاحبها عن غيره.

والاسم الأعظم: العلامة الأعظم التي خلقها الله سبحانه وتعالى، والاسم الأعظم هو الآية الأعظم، ولهذه الآية آيات، وتلك الآيات الأسماء الحسنى التي أشرقت من الاسم الأعظم.

ولهذه الآيات مظاهر، مظاهر التكوين، كُلُّ ما في الكون مردّه إلى الأسماء الحسنى، إن كان ما في الكون ممّا هو متجسّم بنحو مادّي أو أنّه متكوّن من حقائق هي في جوهرها ممّا وراء الطبيعة، ممّا وراء المادّة فمردّها أيضاً إلى الأسماء الحسنى.

وما بين ذاك وذاك نتاج الإدراك ومضامين الإدراك البشريّ وحتى غير البشريّ، وما يكون من سبب وأسباب التواصل إن كان في لغة أو في كتابة أو في أيّ نحوٍ من أنحاء التدوين، بما في ذلك: الإشارات، والعلامات، وسائر أنواع البيانات.

وعلى رأس كل ذلك: ما تجلّى فيما بين أظهرنا من آيات الكتاب الكريم التي ظهرت في هذه الألفاظ والحروف والجمل والأصوات والتي يجمعها هذا الاسم: (القرآن).

(القرآن) ماذا تعني هذه اللفظة في اللغة؟

(القرآن) تعني المجموعة.

وقرأ؛ جمع بين الحروف وبين الأصوات فشكّل الكلمات، وجمع بين الكلمات فشكّل الجمل، وجمع بين الجمل فشكّل السطور، وجمع بين السطور فشكّل الصحائف، وجمع بين الصحائف فشكّل الكُتُب.

(قرأ) في أصلها في لغة العرب: جمع.

والقرآن يعني المجموع، الكتاب مجموع كُتُب، والقرآن مجموع قُرئ.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذا الاستكبار انعكاس للاستكبار الإيليسي الذي ترتب ما ترتب عليه من الآثار في حياة الإنسان على وجه الأرض، كما أن الأمور بخواتيمها، فإن الخواتيم ببداياتها، الأسس هي التي ستعطينا النهايات، إذا كانت الأسس سليمة، النهايات سليمة، وإذا كانت الأسس مختلة فالنهايات مختلة مضطربة.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ هذه الآية ترتبط بما قبلها من آيات كريمة أخرى، وقد مرت علينا الآية الثالثة والثلاثون وهي تشتمل على أصول المعاني التي تفرغت عليها هذه الآيات، في الآية الثالثة والثلاثين: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ومرت الإشارة إلى أن أقوى مراتب الشرك التي تتحدث عنها هذه الآيات:

إدعاء الإمامة، أية إمامة؟ من يأتي فيدعي إمامة آل محمد وهو لا صلة له بهذا الموضوع لا من قريب ولا من بعيد.

- ادعاء الإمامة.

- الإيمان بمدعي الإمامة.

- تنصيب الأمة لإمام توكّل أمرها إليه وإن لم تنصبه في مقام الإمام من آل محمد.

- اتباع الأمة لهذا الإمام الذي نصبته.

هذه الصور هي أخطر معاني الشرك في ثقافة آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهي أخطر معاني الافتراء، وأخطر معاني التكذيب.

فهذا الذي يدعي الإمامة، هذا يفتري على الله ويكذب ما يريد الله، وجعل نفسه شريكاً لله في نصب إمام واختيار إمام، وجعل الإمامة لنفسه كذباً وزوراً وافتراءً ودجلاً.

وذاك الَّذِي يُؤْمَنُ بِهِ وَيَتَابَعُهُ هُوَ عَلَى نَفْسِ الشَّاكِلَةِ وَلَكِنْ بَدْرَجَةٍ أَقْلٍ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ قَدْ يَكُونُ أَسْوَأَ وَأَسْوَأَ، لَا أُرِيدُ الْخَوْضَ فِي كُلِّ التَّفَاصِيلِ وَالْأَمْثَلَةِ.

الأمّة نصبت إماماً فصارت مُشركة فقد جعلت نفسها شريكة لله في نصب الإمام واختياره.

الأمّة بعد أن نصبت الإمام أطاعته وسلّمت أمرها إليه إنّها أشركت مرةً أخرى، أشركت في تنصيب الإمام، وأشركت في طاعته حينما أشركت في طاعة الله شريكاً لا يعرفه شريكاً له سبحانه وتعالى.

فالأية السادسة والثلاثون تتحدّث في هذه الأجواء: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا - كُلُّ هَذِهِ الصُّورِ تَكْذِيبٌ لآيَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴿ الْكِتَابُ هُوَ الْقَانُونُ، الْكِتَابُ هُنَا لَا بِمَعْنَى الْكِتَابِ التَّدْوِينِيِّ، الْكِتَابُ هُنَا: الْقَانُونُ، مَا كَتَبَهُ اللَّهُ مِنْ سُنَنِ لَيْسَ مَكْتُوبًا عَلَى وَرْقٍ أَوْ بِالْقَلَمِ، إِنَّهَا سُنُّ التَّكْوِينِ، إِنَّهَا سُنُّ التَّقْدِيرِ وَالتَّدْبِيرِ، هُنَاكَ تَقْدِيرٌ وَهُنَاكَ تَدْبِيرٌ، فَهُنَاكَ تَقْدِيرٌ يَكْتُبُ يَسْجَلُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُنَاكَ تَدْبِيرٌ يَجْرِي فِي كُلِّ عَالَمٍ بِحَسَبِهِ.

ففي هذه المنظومة التي عبر عنها بـ (الكتاب) في هذه القوانين، هناك نتيجة، هناك حظ، هناك ربح، خسارة، سم ما شئت، هناك شيء يجنيه هذا الإنسان بحسب هذه القوانين.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ - حَظُّهُمْ - مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴿ هُوَ لَمْ يَكُنْ مَلِكًا أَوْ عَوَانًا، فَمَلِكُ الْمَوْتِ لَهُ جُنْدٌ وَأَعْوَانٌ، إِنَّهُ لَا يَبَاشِرُ أَمْرَ الْمَوْتِ بِنَفْسِهِ، يَمْتَلِكُ مِنَ الْأَعْوَانِ وَمِنَ الْجُنْدِ الْعَامِلِينَ تَحْتَ يَدِهِ أَعْدَادًا كَثِيرَةً جِدًّا، يَبَاشِرُ مَلِكُ الْمَوْتِ الْمَوْتَ بِنَفْسِهِ فِي حَالَاتٍ خَاصَّةٍ تَحَدَّثَتْ عَنْهَا كَلِمَاتُ الْمُعْصُومِينَ، وَإِلَّا فَالَّذِينَ يَبَاشِرُونَ إِمَاتَةَ النَّاسِ هُمْ أَعْوَانُهُ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴿ الْوَفَاءُ وَالْوَفَاءُ هُوَ التَّسَدِيدُ، أَلَا يَقَالُ لِلَّذِي يَسُدُّ دِيُونَهُ بِأَنَّهُ قَدْ وَفَّى دِيُونَهُ، أَلَا يَقَالُ لِلثُّوبِ الَّذِي يَغْطِي تَمَامَ الْبَدَنِ لَيْسَ فِيهِ مِنْ عَيْبٍ هُوَ ثَوْبٌ وَافٍ، أَلَا يَقَالُ لِلَّذِي يَخْلِصُ فِي عِلَاقَتِهِ وَيُفْعَلُ عَمَلًا مَا وَعَدَ بِهِ بِأَنَّهُ قَدْ وَفَّى، كَانَ وَفِيًّا، لِأَنَّهُ قَدْ غَطَّى مَا عَلَيْهِ فَلَيْسَ مِنْ نَقْصٍ هُنَاكَ، خَيْرِيَّتُهُ غَطَّتْ عَلَى كُلِّ عَيْبٍ فَلَيْسَ فِيهِ مِنْ عَيْبٍ، فَقَدْ وَفَى وَوَفَّى، وَمِنْ هُنَا يَأْتِي مَعْنَى (الوفاء) أَنَّ أَعْوَانَ مَلِكِ الْمَوْتِ يَعُودُونَ بِالرُّوحِ مِنْ هَذَا الْجَسَدِ وَمِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا كَامِلَةً، تَعُودُ الرُّوحُ كَمَا بَعِثَتْ فِي هَذَا الْجَسَدِ، لَا تَبْقَى لَهَا بَقَايَا، الْمَلَائِكَةُ يَأْخُذُونَهَا بِتَمَامِهَا وَكَمَالِهَا، هَذَا مِنْ جِهَةٍ.

ومن جهة ثانية: فَإِنَّ الْأَجَلَ الْمُسَمَّى وَالَّذِي مَرَّ الْحَدِيثُ عَنْهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ أَيْضًا، فَإِنَّ الْأَجَلَ الْمُسَمَّى وَعَدُّ لَابِدٌ أَنْ يَكُونَ لِلْأَطْرَافِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهِ لَابِدٌ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِنْ وَفَاءٍ كَامِلٍ، فَأَعْوَانَ مَلِكِ الْمَوْتِ يَأْتُونَ عَلَى الْمَوْعِدِ، وَالْإِنْسَانُ عَلَى الْمَوْعِدِ يَمُوتُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤَخَّرَ أَوْ أَنْ يُقَدَّمَ، مَرَّتِ الْآيَاتُ تَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿ هَذَا الْأَمْرُ يَنْطَبِقُ عَلَى الْأُمَّةِ إِذَا مَا قُدِّرَ لَهَا أَمْرٌ جَمْعِيٌّ، وَيَنْطَبِقُ عَلَى الْأَفْرَادِ إِذَا مَا قُدِّرَ لِكُلِّ فَرْدٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ هذا الَّذِي نَصَبَ نَفْسَهُ إِمَامًا يُقَالُ لَهُ: (أين ما كنت تدعو من دون الله؟) فَإِنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ نَفْسَهُ.

وأولئك الَّذِينَ تابَعوه يعبدون شريكاً من دون الله.

والأُمَّة الَّتِي نَصَبَتْ لَهَا إِمَامًا، وهكذا.

﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا - وَحَتَّى هَذَا الَّذِي ادَّعَى الْإِمَامَةَ سَيَعِيشُ ضَلَالًا، سَيُضَلُّ عَن نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ - قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ هذا الحديث حديثٌ عند الوفاة، ومرَّ في سورة الأعراف حديثٌ عن الأَمَم حين يَأْتِيهَا الْعَذَابُ وَيَأْتِيهَا الْجَزَاءُ فِي نَهَارِهَا أَوْ فِي لَيْلِهَا، فِي الْآيَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَرَّتَ عَلَيْنَا: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ متى جَاءَ هَذَا الْبَأْسُ؟ فِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ: ﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا - لَيْلًا - أَوْ هُمْ قَائِلُونَ - نَهَارًا - فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ تلك هي لحظةُ الْحَقِيقَةِ، لِحْظَةُ الصِّدْقِ، هُنَا يَنْطِقُ وَجْدَانُ الْإِنْسَانِ وَوَجْدَانُ الْأُمَّةِ، إِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ نَاطِقَةً هُنَا.

والمعنى هو هو في الآية السابعة والثلاثين عند وفاة الإنسان، عند موته هي لحظة حقيقة لا يستطيع الإنسان أن ينكرها، ولا يستطيع الإنسان أن يفر منها، نحن بانتظارها ولكننا نتغافل، وهي بانتظارنا ولكنها لن تغفل، وأعوان ملك الموت بانتظار الموعد كي يأتوا إلينا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾

مصدق آخر:

ونحن في برنامج لتفسير القرآن، من يفسر القرآن من عنده من دون قواعد و ضوابط، ومن دون بيانات، ومن دون أصول من أصحاب هذا الكتاب، وأصحابه أنتم تعرفونهم، فمن فسّر القرآن من عند نفسه أو بحسب ضوابط وقواعد ومنهجية من خالف أصحاب هذا القرآن، ماذا يصنع؟ إنه يفتري كذباً على الله، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ افتراء واضح وكذب واضح على الله وعلى آل الله، حينما يفسر المفسر القرآن من عنده أو وفقاً لمنهجية من خالف آل محمد، فهو يفتري الكذب على الله، وفي الوقت نفسه يكذب آيات الله، يكذب هذه الآيات التدوينية، يكذبها، هي تقول شيئاً وهو يقول شيئاً، ويكذب آيات الله؛ محمد وآل محمد، إذ يقولون شيئاً وهو يقول شيئاً، مصداق واضح للذي يفسر القرآن بعيداً عن منهج آل محمد.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ نصيبهم من الكتاب؛ جانب من القوانين والسنن التي تحكمنها، قانون (التوفيق والخذلان) قانون التوفيق والخذلان هو الذي يحكمنها، (العمل الصالح يقودنا إما إلى عمل صالح أو منع عن عمل طالح، والعمل الطالح إما أن يقودنا إلى عمل طالح أو منع عن عمل صالح) المعلومة الحقيقية تقودنا إلى معلومة حقيقية، المعلومة الضالّة تقودنا إلى معلومة ضالّة.

المعلومة الحقيقية الصادقة إما أن تقودنا استنتاجاً إلى معلومة حقيقية صادقة أخرى، أو أن تمنعنا عن أن نعتقد بمعلومة ضالّة.

والمعلومة الضالّة الكاذبة الجاهلة إما أن تقودنا استنتاجاً إلى معلومة ضالّة جاهلة كاذبة، أو أنّها تحوّل فيما بيننا وبين أن نصل إلى معلومة صحيحة.

فقانون (التوفيق والخذلان) يجري في ما تقوم به جوارحنا وفي ما تقوم به جوارحنا، الجوارح تُمثل الحراك المادّي للإنسان، الحراك الفيزيائي، وأمّا الجوارح فإنّها تُمثل الحراك المعرفي، الحراك العاطفي، الحراك الوجداني.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَصَبْتَهُمْ أُمَّةً أَوْ تِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ وَالْمَعَارِفِ وَالْمَنَابِعِ الَّتِي أَخَذْتُمْ مِنْهَا فَصَارَتْ أَسَاسًا لِدِينِكُمْ، أَيْنَ هِيَ؟ فَإِنَّ الَّذِي تُوَاجِهُونَهُ الْآنَ خِلَافَ مَا كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ، وَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِاتِّجَاهِ آخِرٍ، لِمَاذَا لَمْ تَأْخُذُوا مِنَ الْمُنْبَعِ الصَّحِيحِ؟! هُمْ فَقَطِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مَا وَرَاءَ هَذِهِ الدُّنْيَا، رِجَالُ الْغَيْبِ، وَرِجَالُ الْغَيْبِ مُحْصَرُونَ فَقَطِ فِي هَذَا الْعِنَاوَانِ: (مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ).

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا، لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِلَ إِلَيْهِمْ، وَهَمٌّ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْنَا، وَلَا نَدْرِي كَيْفَ وَبِأَيِّ طَرِيقَةٍ نَتَوَاصَلُ مَعَهُمْ، نَحْنُ نَعِيشُ حَالَةً مِنَ الضَّلَالِ وَالْتِيهِ، (رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ) هَذَا الْمَعْنَى لَنْ يَصْدُقَ إِلَّا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ حِينَ نَعْرِفُ إِمَامَ زَمَانِنَا، حِينَ نَعْرِفُ إِمَامَ زَمَانِنَا فَإِنَّا قَدْ عَرَفْنَا مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ.

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

بعد ما تحدّثت الآية السابعة والثلاثين عن حال أولئك المكذّبين المفترين، بعبارة موجزة: عن حال أولئك المنافرين لعليّ وآل عليّ، وقد شهدوا على أنفسهم عند الوفاة، عند لحظة الحقيقة، عند مواجهة الصّدق حينما جاء أعوانٌ وجدّد ملك الموت وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين.

في الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأعراف: ﴿قَالَ ادْخُلُوا - من القائل هنا؟ القائل هو الحاكم الذي يحكم في القيامة، هذه صورة من صور القيامة- قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ۗ قَدْ خَلَتْ؛ قد مضت، فإنّ الحساب سيكون بحسب تراتب الأجيال، صحيح هو يصل إلى الجميع في آن واحد كما بين لنا أمير المؤمنين: (إنّ الله يحاسب العباد كما يرزقهم) مثلما أنّ الأرزاق تصل في وقت واحد، الهواء، النّفْس يصل إلى الجميع في وقت واحد إلى المريض وإلى المعافى وإلى الغني وإلى الفقير وإلى الحاكم وإلى المحكوم، وهكذا جميع أنواع الرزق، فإنّ الله يحاسب العباد كما يرزقهم، وكلّ يصل إليه حسابه، ولكن الحساب هو أيضاً له مقامات، له مراتب.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ - من الذي يقسمّ الناس بحسب ثقافة أهل البيت إلى الجنان أو إلى النيران؟ أعتقد أنّكم تعرفونه قسيم الجنة والنار- قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۗ لَمْ يَتَبَرَّأُوا مِنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،

الآن يريدون أن يتبرأوا منهم، واللَّعْنُ شعارٌ للبراءة، وعنوانٌ أيضاً يُشير إلى العداة فيما بينهم في نار جهنم، فجهنم ما هي بنار كنار الدنيا، جهنم عالمٌ تعيش فيه هذه المخلوقات وهذه الأمم، الَّذِينَ يدخلون إلى جهنم لن يموتوا، وسيأكلون ويشربون، ولكنهم يأكلون ما يتناسب وجهنم، شجرة الرقوم أين تنبت؟ شجرة الرقوم ليس تنبت في جهنم ولها ثمار؟ هناك فواكه، هناك أشجار، هناك طعام، هناك شراب، هناك وهناك وهناك، هناك ثياب، سراويل القطران ما هي؟ السراويل أليست هي ثياب؟ هناك ثياب، جهنم عالم، عالمٌ فسيحٌ واسع ستعيش فيه هذه الأمم.

هذا التصور الساذج لجهنم وكأنها نار كنار الدنيا ويلقى الإنسان فيها ويحترق وينتهي، القرآن يُحدِّثنا، والروايات تُحدِّثنا: في جهنم هناك نزاعٌ وجدلٌ وتخاصمٌ وتفصيل كثيرة، فجهنم عالمٌ فسيحٌ وسيع، فيه مساكن، فيه مراتب، فيه درجات، فيه وفيه، ليس الحديث عن جهنم هنا.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً -ادَّارَكُوا يعني أدرك المتأخر السابق، من سبقه، اجتمعوا معاً- حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ -ضاعف لهم العذاب لأن هؤلاء هم السبب في ضلالنا، شقوا لنا الطريق- قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لأن كل أمة مشغولة بعذابها وحسابها وهكذا كل فرد مشغول بعذابه وحسابه، ﴿لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ هذه الحالة حاله في الحساب وحاله في العذاب.

﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا -قالت أخراهم لأولاهم يعني أسمعوهم، أن الآخرين يسمعون الأولين، هذا الدعاء يخاطبون الله- رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ -أنتم لستم أفضل منا- فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ -ما أنتم فيه من أيديكم، ليس هذا بسببنا، نحن كنا في عصرٍ قبل عصركم، لماذا لم تدركوا أنفسكم؟- وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا -هذه الجموع، هذه الأمم من الجن والإنس- إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ هذا التعبير تعبير كناي: (لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) فإن أبواب السماء إذا ما فُتِحَتْ أي شيء يطل علينا من هذه الأبواب؟ أبواب السماء هي أبواب الخير، أبواب السماء هي أبواب الطهر، أبواب السماء هي أبواب القرب من الله سبحانه وتعالى، وأبواب السماء هي عنوان لأي شيء؟ هي عنوان لتلك الرحمة التي فُتِحَتْ أبوابها، ولكن الناس هم الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْمُفْتُوحَةِ لَهُمْ وَذَهَبُوا يَبْحَثُونَ فِي الْمَزَابِلِ وَالْقَاذورات.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ -وأبواب السماء لا حدود لها، أبواب السماء أبواب تأتي من عندها جميع أنواع الأرزاق ويأتي الفيض منها بكل مراتبه، ومطر الرحمة والرأفة والفضل والهدى يتدفق من هذه الأبواب- إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، (سَمَّ الْخِيَاطِ) هو ثقب الإبرة، تعبير فيه شيء من السخرية بهم، تعبير فيه شيء من بيان أن هؤلاء لن يدخلوا الجنة حتى يتحقق هذا المعنى؛ أن الجمل هذا الحيوان الكبير يأتي فيدخل من ثقب إبرة، هل يمكن ذلك؟! بالحسابات الدنيوية هل يمكن ذلك؟! لن يكون هذا الأمر، إنهم خالدون في عذابهم وفي جهنمهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ "السَّم" هو الثقب، و"الخياط" هنا الإشارة إلى الإبرة.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ * لَهُمْ -لهؤلاء المجرمين- لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنَ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ هؤلاء ظالمون، هؤلاء مجرمون، هؤلاء مستكبرون، هؤلاء كاذبون، افتروا الأكاذيب على الله، وكذبوا بآيات الله، هؤلاء كفرون هم شهدوا على أنفسهم كما في الآية السابعة والثلاثين: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ ما من سيئة إلا وقد جمعت فيهم.

﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ المهاد هو ما يوضع تحت الإنسان، لذلك يقال: (مهّدُ الطفل) فراشه الذي يمهّد له وينام عليه، فالمهاد هو ما يوضع تحت الإنسان.

وأما الغواش فهو ما يتغشى به الإنسان، ما يتغطى به، الألفه والأغطيّة غواش، فما يتغشى به الإنسان ويتغطى به الإنسان هو هذا الذي يقال له غواش.

فهؤلاء المجرمون ماذا أعد لهم في جهنم؟ ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراشهم جهنمي، قلت قبل قليل من أن جهنم عالمٌ وسيع، فيه فراش، فيه غطاء، فيه طعام، فيه شراب، فيه وفيه وفيه سائر تفاصيل الحياة، ولكنها حياة جهنمية، هناك حياة جنانية، وهناك حياة جهنمية.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ هنا تنتهي الآية الأربعون.

الآية التي بعدها: ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ -فراش جهنمي- وَمِنَ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ -وأغطيّة جهنمية- وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ -جزاؤنا للظالمين هو هذا، وهذا الجزاء ما هو من الله من دون سبب، هذا الجزاء الإنسان أوجده- وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الظالم ماذا يفعل؟ الظالم بظلمه ماذا يفعل؟ الظالم بظلمه يظلم حياة الذي يظلمه، وفي نفس الوقت يظلم عقله وقلبه، الظلم ظلمات، الظالم يسلب الضوء والنور من عقله وقلبه، وفي نفس الوقت أيضاً يسلب الضوء من حياة الذي يظلمه، هذا هو الظالم.

- الظالم لربه.

- الظالم لغيره.

- الظالم لنفسه.

كُلُّ معاني الظلم هي عمليّة سلب للضوء، ولكن في كُلِّ مرتبة بحسبها، وفي كُلِّ نوع ظلم بما يتناسب معه، مع الجهة التي تُظلم ومع نوع الفعل أو القول أو النية بحسب الحدث، بحسب حدث الظلم، بحسب كينونته،

هل هو مادّي أم معنويّ، ولكن بالنتيجة الظلم ظلّم، والظلم ظلّمات، والظلم هو سلبّ للضوء، الضوء بكُلّ معانيه، ليس الحديث عن ضوء كضوء الشمس، فالضوء عنوانٌ لفاعليّة الحياة، والضوء عنوانٌ لفاعليّة الحركة والنشاط، والضوء عنوانٌ لحركة الإنسان باتجاه ما يكملّ نقصه، هذا هو الضوء، فأولئك الظالمون بأعمالهم هذه يبنون لهم ظلاماً في جهنّم، فمهادٌ جهنميّ، فراشٌ جهنميّ، والفراشُ الجهنميّ ناريّ مدخّنٌ مسودّ مظلم، وهذه الغواشيّ الجهنميّة ظلّماتٌ فوقها ظلّمات، وعذابٌ يستبطنُ عذاباً ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

أعودُ بكم إلى الآية الأربعين بعد البسملة من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

أريدُ أن أقف عند هذه الآية خصوصاً عند هذا التعبير: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ متى ما ولجَ الجمَلُ في سَمِّ الخياطِ فإنَّ أولئك سيدخلون الجنة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

أريدُ أن أقف معكم عند هذا التعبير: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ما الهدفُ من وقوفي عند هذه الجملة، عند هذا المقطع من الآية الكريمة؟

الهدفُ أريدُ أن أريكم كيف تعاملت الأمة مع القرآن الكريم، الذين يقولون نحن أمّةٌ محمّد، من السنّة والشيعّة على حدّ سواء.

هناك تنزيلٌ وهناك تأويل، وهذا الحديث يعرفهُ الجميع من السنّة والشيعّة، أنا هنا لا أخاطبُ السنّة، لا شأن لي بهم، خطابي مع شيعة أهل البيت، ولكنني بحاجةٍ لذكر هذه المطالب حتى تتضح الصورة لدى أشياع أهل البيت، هذا الحديث موجودٌ عند السنّة وعند الشيعة، النبي صلى الله عليه وآله يخاطبُ عليّاً: (سَتَقَاتِلُهُمْ عَلَى التَّأْوِيلِ كَمَا قَاتَلْتُهُمْ عَلَى التَّنْزِيلِ) فهناك تنزيلٌ، وهناك تأويل.

وليس المراد من التأويل هنا هو أسلوبُ لفهم القرآن، أبداً، نعم في مرحلة التأويل جزءٌ من هذه المنظومة طريقته فهم القرآن، لكنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنا يقول: لقد قاتلتهم على التنزيل، النبي هل قاتلهم على البناء اللفظي للقرآن؟! فإنّ القرآن في بنائه اللفظي يسمّى بالتنزيل، أم أنّ النبي قاتلهم على الدين بكُلّ تفاصيله، على منظومة الدين، النبي قاتلهم على القرآن وقاتلهم على النبوة بكُلّ تفاصيلها، فالقرآن جزءٌ من النبوة.

في منظومة الدين:

- هناك النبي،
- وهناك القرآن.

مثلما في منظومة التأويل:

- هناك العترة،

- وهناك القرآن.

في زمن النبي هناك نبي وهناك القرآن، تلك هي مرحلة التنزيل، مرحلة التأويل والتي بدأت بعد بيعة الغدير، فبيعة الغدير كانت بيعة على بداية مرحلة التأويل وتفعيلها في وسط الأمة، ولذا النبي صلى الله عليه وآله بعد أن تمت بيعة الغدير جمع بين الظهرين وجمع بين العشاءين، تغيرت مواقيت الصلاة، وحدثت تغييرات كبيرة، نحن بدأنا في مرحلة جديدة، وهذه بدايات وبوابة فتحت لمرحلة التأويل.

فالنبي قاتل على التنزيل المراد: الدين بكُلِّ تفاصيله.

وعلي سيقاتل على التأويل المراد: الدين بكُلِّ تفاصيله.

فلقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله على التنزيل، على منظومة الدين بكاملها، وقال لأمر المؤمنين: (إنك ستقاتل على التأويل) كما أن النبي قاتلهم على التنزيل فإن علياً سيقاتلهم على التأويل.

والمراد من التأويل هنا: أن الدين انتقل إلى مرحلة جديدة، فلا عودة إلى الوراء.

المخالفون لأهل البيت وهم مخالفون لرسول الله بقوا يدعون التمسك بالتنزيل، بينما مرحلة التنزيل انطوت، طواها رسول الله، وبدأت مرحلة التأويل.

السقيفة: رفّضت مرحلة التأويل وبقيت متمسكة بمرحلة التنزيل.

الشيعة: يفترض أنهم قد دخلوا في مرحلة التأويل، وبدأت مرحلة التأويل عند الشيعة بنحو تدريجي في زمان الأمة، ولن يكتمل هذا التأويل إلا عند ظهور إمام زماننا، وستأتينا الآية في سورة الأعراف، الآية الثالثة والخمسون: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءٍ﴾ إلى آخر الآية، سيأتينا الحديث والكلام عنها، فيفترض في الشيعة أنهم في مرحلة التأويل تتدرج وتترقى شيئاً فشيئاً إلى زمان التأويل الكامل عند ظهور إمام زماننا.

لكن مشكلة الشيعة أين؟

هو حيرة علمائنا، حيرة علماء الشيعة ما بين التنزيل والتأويل، فقدّم في مرحلة التنزيل، وقدّم في بعض الأحيان يضعونها في مرحلة التأويل، ثم يسحبونها فيعودون إلى مرحلة التنزيل.

في مرحلة التنزيل: فهم القرآن بما يتناسب وتلك المرحلة.

وفي مرحلة التأويل: هناك فهم جديد للقرآن.

وهذا هو الذي حاربتُه السقيفة وتبعهم علماء الشيعة ومراجع الشيعة في ذلك، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منذ دخوله للمدينة ومن الجمعة الأولى نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صلاة الجمعة، وفي كل صلاة هناك خطبتان للنبي، بقي النبي عشر سنوات في المدينة، والسنة تتألف من (52) أسبوع، (52) جمعة، في كل جمعة خطبتان.

إذا ما ضربنا 52 في 2، الناتج: 104.

إذا ضربناها في عشر سنوات، الناتج: 1040 خطبة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

لنفترض أن النبي في بعض الجمععات لم يصل صلاة الجمعة في المدينة ولم يخطب، لظرف من الظروف، لسفر، لحرب، لأي أمر كان، لنفترض أن نصف هذه الخطب خطبها النبي، يعني (520) خطبة، كم خطبة عندنا مروية من خطب النبي؟ وخطبه كانت في تفسير القرآن، كان يفسر القرآن ويبين الأحكام لهم، فلم تكن خطبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يتحدث فيها مثلاً عن تحليل سياسي، أو عن حكايات وعن صراعات بين زعامات سياسية أو اجتماعية هنا أو هناك، وحتى لو ذكر ذلك فإنه لا يمثل جزءاً كبيراً من حديث رسول الله.

القرآن يصرح: إنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم يعلمهم الكتاب والحكمة، متى كان يعلم الأمة الكتاب والحكمة؟ قطعاً هناك حالات كثيرة، لكن من أبرز هذه الحالات صلاة الجمعة، إذا كان المخالفون لأهل البيت لا يعاؤون بخطب النبي فما رويها في كتبهم، أممتنا لماذا لم يرووها لنا؟

الجواب واضح: لأن تلك الخطب وتلك الأحاديث ولأن تفسير النبي للقرآن ما رواه لنا الأمة إلا لماماً، كان يتناسب مع مرحلة التنزيل.

في مرحلة التأويل ماذا اشترط النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الأمة؟ أن لا تأخذ التفسير إلا من علي، أليس هذا الشرط هو الشرط الواضح في بيعة الغدير؟

لن أذهب بعيداً في هذه القضية وسأعود إلى هذه الآية: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ في مرحلة التنزيل الكلام واضح: الجملة هو الجملة، البعير، فهو أكبر حيوان في جزيرة العرب، مثلاً لا يوجد الفيل في جزيرة العرب، الفيل أكبر حجماً من الجملة، لكنه لا يوجد في جزيرة العرب، أكبر حيوان في جزيرة العرب هو الجملة، والقرآن عربي، والخطاب للعرب، والناطق به محمد، هو أفصح فصحاء العرب، فأكثر حيوان في الثقافة العربية في العرف العربي هو الجملة، فالجملة هو الجملة، هو البعير.

وسم الخياط: هو ثقب الإبرة.

ثقب الإبرة والجملة، هل يدخل الجملة في ثقب الإبرة؟ قطعاً بحسب الواقع لن يدخل الجملة في ثقب الإبرة، وهذا هو الذي يفهمه العربي حين يقرأ هذا الكلام وحين يسمع هذا الكلام: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

وهذا التعبير قد ورد في الأناجيل أيضاً، والأناجيل هذه سابقة للقرآن الكريم، الأناجيل هذه مع عدم اعتقادنا بصحتها لكنها لا تخلو من أشياء صحيحة، لا يعني أن كل ما في الأناجيل ما هو بصحيح، أبداً، الأناجيل عند المسيحيين تعرضت للتحريف، وهذا الكلام لسنا فقط نحن الذين نقول به، صحيح المتدينون المسيحيون يرفضون هذا الكلام ويعتبرون أن الأناجيل ما تعرضت لأي تحريف، بغض النظر عن هذه القضية.

هذا هو إنجيل (متى)

إنجيل متى وفي الإصحاح التاسع عشر، ماذا جاء فيه وعند الآية الرابعة والعشرين من آيات هذا الإصحاح، الآية أو الفقرة: وأقول لكم -يسوع يقول لتلاميذه- وأقول لكم: لأن يمرّ الجمل من ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله -هذا الكلام قاله في واقعة، في قصة هي قصة الشاب الغني، أنا هنا لست بصدد الحديث عما جاء في الأناجيل وإنما أسلط نظري على هذا التعبير، فهذا التعبير جاء في إنجيل متى في الإصحاح التاسع عشر- وأقول لكم: لأن يمرّ الجمل من ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله.

وجاء أيضاً في إنجيل (مرقس)

في الإصحاح العاشر، في الآية الخامسة والعشرين: لأن يمرّ الجمل من ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله، هذا في الإصحاح العاشر من إنجيل مرقس، والآية أو الفقرة الخامسة والعشرون.

وفي إنجيل (لوقا)

في الإصحاح الثامن عشر، وأيضاً عند الآية الخامسة والعشرين: فلأن يدخل الجمل في ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله.

فهذا التعبير ورد في إنجيل متى وفي إنجيل مرقس وفي إنجيل لوقا، وهو نفس التعبير الذي جاء في الكتاب الكريم: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ قطعاً اللغة الأصلية لهذه الأناجيل ما هي العربية، اللغة الأصلية هي العبرية الآرامية، وبعد ذلك ترجمت هذه الأناجيل إلى اللغة اليونانية إلى أن وصلت إلينا بهذه الصيغة باللغة العربية.

هذا الكلام الذي جاء في هذه الأناجيل هو نفسه من جهة التركيب اللفظي، هناك جمل وهو الحيوان، وهناك ثقب الإبرة، هذا فهم الآية في مرحلة التنزيل.

في مرحلة التأويل ما معنى هذه الآية؟

نحن اشترط علينا أن لا نأخذ التفسير إلا من علي، بيعة الغدير هذا الشرط أخذهُ علينا رسول الله، أنا أقرأ من (إقبال الأعمال) للسيد ابن طاووس، وهذه الطبعة مؤسسة الأعلمي/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الأولى/ 1996/ رقم الصفحة (767)، (معاشر الناس -خطاب النبي، هذا هو صك بيعة الغدير، نص بيعة الغدير- معاشر الناس تدبروا القرآن وأفهموا آياته ومحكماته -يطالبنا بفهمها- ولا تتبعوا متشابهه فوالله لا يوضح تفسيره إلا الذي أنا أخذ بيده ورافعها بيدي ومعلمكم -ماذا علمنا؟- من كنت مولاه فهو مولاه وهو علي

تُمْ ماذا يقول رسول الله؟- إِي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ وَفَهَّمْتُكُمْ هَذَا عَلَيَّ يَفْهَمُكُمْ بَعْدِي) إلى آخر ما جاء من تفاصيل في بيعة الغدير ومر ذكرها في الحلقات المتقدمة.

هنا بدأت مرحلة التأويل وحين اعترضت الأمة على هذه المرحلة ما الذي جرى؟ الذي جرى أن قُتِلَت فاطمة، وأن جرت الويلات على آل مُحَمَّد، ولَمَّا سَنَحَت الفرصة أن يُقاتلهم سيد الأوصياء على التأويل قاتلهم بحسب ما استطاع أن يقوم به، وإلَّا فَقَصُّهُ التَّأْوِيلِ طَوِيلٌ، قِصَّةُ التَّأْوِيلِ نَهَايَاتُهَا فِي مَرَحَلَةِ الرَّجْعَةِ، هَذِهِ هِيَ بَيْعَةُ الْغَدِيرِ؛ أَنَّ الْقُرْآنَ تَفْسِيرُهُ عِنْدَ عَلِيٍّ وَأَنْ نَأْخُذَ تَفْسِيرَهُ مِنْ عَلِيٍّ فَقَطْ، تِلْكَ هِيَ بَيْعَةُ الْغَدِيرِ، فَإِنَّ مَرَحَلَةَ التَّأْوِيلِ قَدْ بَدَأَتْ مِنْذُ بَايَعْنَا عَلِيًّا فِي الْغَدِيرِ.

ماذا يكون معنى هذه الآية في مرحلة التأويل؟

أنا لا أتحدّث عن تأويل الألفاظ، أنا أتحدّث عن أن التأويل مرحلة، عليّ قاتل على التأويل، على مرحلة، مثلما قاتل مُحَمَّدٌ على التنزيل، فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يُقَاتِلْ عَلَى أَسْلُوبِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يُقَاتِلْ عَلَى بِنْيَةِ لَفْظِيَّةٍ لِلْقُرْآنِ، قَاتَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى مَنْظُومَةٍ، الْقُرْآنُ جُزْءٌ مِنْهَا، وَتَفْسِيرُهُ جُزْءٌ مِنْهَا، مَنْظُومَةٌ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ، فَعَلِيَ قَاتَلَ عَلَى مَنْظُومَةِ التَّأْوِيلِ، الْقُرْآنُ جُزْءٌ مِنْهَا وَمَعْنَاهُ جُزْءٌ مِنْهَا.

فما معنى هذه الآية في مرحلة التأويل؟ من أهمّ الجوامع الحديثية التي جمعتها الشيعة عن آل مُحَمَّدٍ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَإِنْ ضَاعَ الْكَثِيرُ مِنْ تَفْسِيرِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَلَكِنْ مَا بِأَيْدِينَا مِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الْجَوَامِعِ: (تَفْسِيرُ الْقُمِّيِّ) جَمَاعٌ لِأَحَادِيثِ الْمُعْصُومِينَ، يَغْلِبُ عَلَيْهَا أَحَادِيثُ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ، مَاذَا جَاءَ فِي بَيَانِ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُمِّيِّ؟

عن إمامنا الباقر: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ماذا جاء عن الإمام الباقر؟ قال: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، لَا يَتَحَدَّثُ عَنْ مَرَحَلَةِ التَّنْزِيلِ، يَتَحَدَّثُ عَنْ مَرَحَلَةِ التَّأْوِيلِ، أَنَّ الْآيَةَ حِينَ نَزَلَتْ فَمَعْنَاهَا فِي مَرَحَلَةِ التَّأْوِيلِ هُوَ هَذَا، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِي، (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ) الْقُرْآنَ مَا قَالَ (وَمَا يَعْلَمُ تَفْسِيرَهُ) لِأَنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْحَقِيقِيِّ، أَمَّا هَذَا الَّذِي يَشِيْعُ فِي الثَّقَافَةِ الشَّيْعِيَّةِ مِنْ أَنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ مَعْنَى ثَانٍ، هَذَا جَاءَ مِنَ الْمُخَالَفِينَ.

التأويل في لغة العرب هو إرجاع الشيء إلى أصله، إلى أوليته، تأويل؛ إرجاع الشيء إلى أوله، إلى أصله.

والتأويل في القرآن الكريم هو حقيقة القرآن، حين يقول القرآن في سورة آل عمران: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ما يعلم تأويله هل أن الله هنا يتحدّث عن المعنى الثانوي؟! أم أنه يتحدّث عن المعنى الأصل والحقيقي للقرآن؟ لماذا تفهمون الأشياء بالمقلوب؟! لماذا تفهمون الأشياء وفقاً لذوق النواصب والمخالفين؟!

الآن الموجود في ثقافتكم أيها الشيعة ما المراد من التأويل؟ المراد من التأويل: المعنى الثاني.

التأويل هو المعنى الأول، أنتم عرب؟ إذا كنتم عرباً ما معنى التأويل في لغة العرب؟ إرجاع الشيء إلى أوله، أولت؛ رجعت إلى الأول.

بحسب القرآن (وما يعلم تأويله) يعني هل أن الله هنا يبين هذه الحالة الخاصة بالقرآن ويبين أن الذي يعرفه فقط هو الله والراسخون في العلم، يتحدث عن المعنى الثانوي؟! ما هذه العقول؟!

وحين يقول خاتم الأنبياء لسيد الأوصياء: (ستقاتلهم على التأويل) يقاتلهم على أشياء ثانوية؟! أم أنه سيقاتلهم على أصل الدين، على حقيقة الدين، التي ما بينت في زمان النبي، لأن الأمر كان في حالة تنزيل، شيئاً فشيئاً، بشكل تدريجي يتناسب مع الناس، ولذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حصر تفسير القرآن الذي هو تأويل القرآن، والتأويل والتفسير بمعنى واحد، هذا التفريق بين التفسير والتأويل ليس من ثقافة أهل البيت، هذا من ثقافة المخالفين، التفسير والتأويل عند أهل البيت بمعنى واحد، من فسّر القرآن برأيه يعني من أول القرآن برأيه، فالتأويل والتفسير لا يؤخذ إلا من علي.

فماذا جاء في تفسير القمي في هذه الآية: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾؟

هؤلاء المكذّبون الكافرون الظالمون الذين كذبوا على الله وافتروا على الله وكذبوا بآياته، هذه الأوصاف التي مرت في سورة الأعراف، إلى أن قالت الآية: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ في تفسير القمي الذي هو أحد المجاميع التفسيرية المهمة عن أهل البيت ماذا يقول الباقر؟ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَالْجَمَلُ جَمَلُهُمْ -والله هذا المعنى ينسجم مع هذه التعابير انسجاماً كاملاً، ولكن ماذا نصنع للثقافة المخالفة لأهل البيت التي تفسّت فينا؟! باقر العلوم يقول هكذا: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ فِي أَهْلِ الْجَمَلِ بَكْلَهُمْ، بِقَضِهِمْ وَقَضِيضِهِمْ - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَالْجَمَلُ جَمَلُهُمْ -والجمل الذي ركبته عائشة في رواياتنا هو شيطان اسمه (عسكر) شيطانٌ تصوّر بصورة جمل، ومر علينا في قصة أبينا آدم ماذا طلب إبليس من الله حين قال له: اطلب ما تريد، قال: أن أتصوّر لبي آدم في الدنيا بأية صورة أشاء، لذلك شيطانٌ من شياطين إبليس تصوّر بصورة هذا الجمل، الروايات هكذا تُحدّثنا، لا شأن لي بهذا الموضوع الآن - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ - باقر العلوم يقول - فِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَالْجَمَلُ جَمَلُهُمْ، هذه المجموعة التفسيرية الأولى، تفسير القمي.

تفسير العياشي:

مجموعة تفسيرية من أحاديثهم هي من أهم المجموعات التفسيرية من حديث أهل البيت، والرواية في العياشي عن الإمام الصادق في معنى هذه الآية، ماذا قال صلوات الله وسلامه عليه؟ ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَالْجَمَلُ جَمَلُهُمْ، وأنا أقرأ عليكم من الجزء الثالث من تفسير البرهان، نقل عن تفسير القمي وعن تفسير العياشي، والمصادر موجودة، موجودة عندي وعند غيري موجودة هذه الكتب: تفسير القمي وتفسير العياشي، موجودة في المكتبات ومطبوعة، ومراراً آتي بها،

للاختصار قرأتُ عليكم من تفسير البرهان، وإلا فتفسير القُمي موجودٌ لديّ وكذلك تفسير العياشي، وهذه الروايات موجودةٌ فيهما.

ففي تفسير القُمي الروايةُ عن باقر العلوم: (الآية في طلحة والزبير والجمل جملهم).

وفي تفسير العياشي عن صادق العترة: (نزلت في طلحة والزبير والجمل جملهم).

نزلت هذه الآية في زمن النبي، في زمن النبي حين نزلت هذه الآية نزلت لمرحلة التأويل، القرآن ما نزل لمرحلة التنزيل، مرحلة التنزيل كانت مقدّمة، لذلك قال القرآن عن نفسه؟ (وما يعلم تأويله) لأنّ القرآن نزل للتأويل ولم يكن نزل للتنزيل، كان مقدّمةً، مرحلة التنزيل كانت مقدّمةً، من أراد أن يعرف تفاصيل أكثر عن مرحلة التنزيل والتأويل، على موقع زهراييون وعلى اليوتيوب هناك برنامج مفصّل لي عنوانه: (ملفّ التنزيل والتأويل) راجعوه، برنامج طويل ومفصّل، يتجاوز السبعين ساعة، لو رجعتم إلى هذا البرنامج ستطلعون على تفاصيل كثيرة فيما يرتبط بهذا العنوان: (التنزيل والتأويل).

فالآيةُ إذاً في مرحلة التنزيل: الجمل هو الجمل، وسمّ الخياط ثقب الإبرة، وهذه التعابير كما رأيتم كانت موجودة في الأناجيل، وجئتكم بأمثلة، كيف يفهمونها في ذلك الوقت لا أدري، ولكن بحسب تفاسير الأناجيل الموجودة الآن عند المسيحيين فهم يفهمون الجمل بالجمل البعير، والثقب ذكر ثقب الإبرة، ليس مهمماً عندي ما جاء في الأناجيل لكنني أردتُ أن أقول لكم إنّ هذا التعبير كان شائعاً وكان موجوداً.

ولكن في مرحلة التأويل هي التي تهمننا، لماذا تهمننا؟

لأنّ حقيقة القرآن في التأويل، (ما يعلم تأويله - ما يعلم حقيقته - إلا الله والراسخون في العلم) هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: نحن بايعنا محمداً صلى الله عليه وآله على أن نأخذ التفسير من علي، أتعلمون أنّ بيعة الغدير هي مع محمد قبل أن تكون مع علي صلى الله عليهما وآلهما، الذين حضروا في واقعة غدير خمّ لقد بايعوا النبي وبايعوا علياً، سلّموا على النبي وسلّموا على علي، كما يُقال: (صفقوا على يد النبي بالبيعة وعلى يد علي) فبيعة الغدير هي بيعة لمحمد بالأصل وبعدها هي بيعة لعلي، وهي بيعة لإمام زماننا بالنسبة لنا، بيعة الغدير هي بيعة لإمام زماننا، بيعة الغدير لمحمد ولعلي صلى الله عليهما وآلهما من دون أن نبايع إمام زماننا لا معنى لها، معنى بيعة الغدير أن نبايع إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

فالآية الأربعون وهي تُحدّثنا عن قوم لا يدخلون الجنة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط ما هي أوصافهم؟

في نفس الآية: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا - عَلِيّ مَاذَا يَقُولُ؟ (مَا لِلَّهِ مِنْ آيَةٍ أَكْبَرَ مِنِّي) هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى، هُوَ الْآيَةُ الْعُظْمَى - إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا هَذَا هُوَ وَصْفُهُمْ: تَكْذِيبُ بِالْآيَاتِ وَاسْتِكْبَارُ، وَذَلِكَ هُوَ حَالُ إِبْلِيسَ، هُوَ لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ - هُوَ لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ - لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾** هؤلاء ظالمون، هؤلاء مجرمون، هؤلاء جهنميون،

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمَنْ فَوْقَهُمْ غَوَاشٍ﴾ ظالمون، جهنميون، مجرمون، مغضوب عليهم، لا تفتح لهم أبواب السماء، مستكبرون، ومكذبون بآيات الله، هذه الأوصاف هي أوصاف أولئك الذين لن يدخلوا الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

فماذا قال الباقر بحسب ما جاء في تفسير القمي؟ قال الباقر صلوات الله عليه: (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ وَالْجَمَلَ جَمْلُهُمْ).

ومادا قال الصادق والرواية في تفسير العياشي؟ قال الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (نَزَلَتْ الْآيَةُ - هَذِهِ الْآيَةُ - فِي طَلْحَةَ وَ الزَّبِيرَ وَالْجَمَلَ جَمْلُهُمْ).

لو سألنا أمير المؤمنين عن مشكلة هؤلاء ما هي؟

هذا هو نهج البلاغة الشريف:

أمير المؤمنين يحدثنا عن أصحاب الجمل، فماذا يقول؟ الطبعة المرقمة في نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي، رقم (22) حين بلغه -بلغ الأمير- خَبَرَ النَّاكِبِينَ بِبَيْعَتِهِ -من هم الذين نكثوا البيعة؟ أصحاب الجمل، أم الجمل وأصحاب الجمل- فماذا قال علي؟ أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ دَمَرَ حِزْبَهُ -دمر حزبه؛ أي حثهم وحظهم، دفعهم، وهذا يعني أن القضية موجودة أساساً عندهم- أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ دَمَرَ حِزْبَهُ وَأَسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ -الجلب هو ما يجلب في الأسواق، ما يجلب إلى البلاد- لِيَعُودَ الْجُورُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ -إلى آخر كلامه، يعني الحركة هذه حركة بدأت من الشيطان، حركة شيطانية- أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ دَمَرَ حِزْبَهُ وَأَسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ لِيَعُودَ الْجُورُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ.

ثم ماذا يقول؟ يقول: اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً -الخطبة السابعة، يتحدث عن أتباع الشيطان وكيف تواصلوا مع الشيطان- اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً -الملاك يعني القوام، قوام الشيء، أساس الشيء- اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً -فقوام ما يقومون به شيطاني- واتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكَاً قَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ -دب ودرج؛ أنه نما ونشأ وتربى وكبر- وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ -هناك ناطقان: ناطق ينطق عن الرحمن وناطق ينطق عن الشيطان، فمن استمع إلى ناطق الرحمن فقد عبده، ومن استمع إلى ناطق الشيطان فقد عبده، فمن استمع إلى ناطق فقد عبده- اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكَاً قَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَكَبَّ بِهِمُ الزَّلْزَلُ وَزَيْنَ لَهُمُ الْخَطْلُ فَعَلَّ مَنْ قَدْ شَرِكُهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

هذا كتاب (الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة) للشيخ المفيد رحمه الله عليه، المطبعة سيد الشهداء/ الطبعة الأولى/ 1430 هجري قمري/ قم المقدسة/ في الصفحة 261/ في معركة الجمل: حَتَّى دَنَوْا مِنْ عَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْقَتْ عَائِشَةُ عَلَى نَفْسِهَا بُرْدَةً كَانَتْ مَعَهَا -البردة نوع من أنواع الثياب- وَقَلَبَتْ يَمِينَهَا عَنْ مَنْكِبِهَا الْأَيْمَنِ إِلَى الْأَيْسَرِ وَالْأَيْسَرُ إِلَى الْأَيْمَنِ -أي خالفت فيما بين أطرافها- كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَصْنَعُ عِنْدَ

الاستسقاء، ثُمَّ قَالَتْ: نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تَرَابٍ، فَنَاوَلُوهَا، فَحَثَّتْ بِهِ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، فَعَلَتْ هَذَا الْأَمْرَ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي بَدْرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَذَ كَفًّا مِنَ الْحَصْبَاءِ، مِنْ تَرَابِ الْأَرْضِ، مِنْ حَصْبَاءِ الْأَرْضِ وَرَمَى بِهِ عَلَى وَجُوهِ الْقَوْمِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، وَفِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ الْإِشَارَةُ وَاضِحَةٌ بِحَسَبِ مَا جَاءَ فِي بَيَانِ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي الْآيَةِ السَّابِعَةِ بَعْدَ الْعَاشِرَةِ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وما رميت إذ رميت حين رفع كفًّا من الحصباء ورمى به في وجوه القوم، فإنَّ جميع الَّذِينَ وصلت إليهم تلك الحصباء قُتِلُوا فِي الْمَعْرَكَةِ، كُلُّ الَّذِينَ وصلت إليهم أجزاء من ذلك التراب، أجزاء من تلك الحصباء الَّتِي رَمَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ فِي وَجُوهِ الْقَوْمِ كُلِّهِمْ قُتِلُوا فِي الْمَعْرَكَةِ، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

عائشة فعلت نفس الأمر في الجمل مع أصحاب أمير المؤمنين، فماذا قال لها أمير المؤمنين؟ وَلِمَا فَعَلَتْ عَائِشَةُ مَا فَعَلَتْ مِنْ قَلْبِ الْبُرْدِ وَحَصْبِ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالتُّرَابِ - ماذا قال أمير المؤمنين؟ - وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ يَا عَائِشَةُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ رَمَى، هذه الخلاصة: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ يَا عَائِشَةُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ رَمَى.

أعود إلى ما جاء في نهج البلاغة: اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً قَبَاصٍ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلْزَلُ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخُطْلَ فَعَلَّ مَنْ قَدَّ شَرِكُهُ الشَّيْطَانَ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

ما الَّذِي فعلوه في واقعة الجمل؟

أولاً: نقضوا بيعة الغدير، نقضوا بيعة الغدير عسكرياً شهروا السلاح في وجه أمير المؤمنين، وقرانياً فسروا القرآن بحسب ما يريدون، لم يأخذوا تفسير القرآن من علي، نقضوا بيعة الغدير.

ثُمَّ ماذا؟ ورفضوا الدخول في مرحلة التأويل، يريدون البقاء على التنزيل، ولذلك قال رسول الله لسيد الأوصياء: (ستقاتلهم على التأويل كما قاتلهم على التنزيل، وإنَّكَ ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين) وهؤلاء الَّذِينَ كانوا في واقعة الجمل في البصرة، كانوا ناكثين، هؤلاء هم الناكثون.

هذه العبارة الَّتِي قالها أمير المؤمنين لعائشة تختصر المطلوب: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ يَا عَائِشَةُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ رَمَى) فَعَلَّ عَائِشَةُ كَانَ تَأْوِيلًا بِحَسَبِ مَا تَرِيدُ، أَرَادَتْ أَنْ تَفْعَلَ مَا كَانَ فِي التَّنْزِيلِ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ وَلَكِنْ بِحَسَبِ مَا تَرِيدُ، فَخَالَفَتْ عَلِيًّا فِي التَّأْوِيلِ.

في المقطع الثالث عشر من كلامه في نهج البلاغة يخاطب أهل البصرة: كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ -ومرادي من أهل البصرة هم الَّذِينَ حَارَبُوا عَلِيًّا، لَا أَتَحَدَّثُ هُنَا عَنِ الْمُنْطَقَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ، وَإِنَّمَا أَتَحَدَّثُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوا عَلِيًّا- كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ -يشير إلى الجمل- رَعَا فَأَجَبْتُمْ، وَعَقَرَ- لَمَّا عَقَرَ وَضُرِبَ- فَهَرَبْتُمْ.

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَعَا فَأَجَبْتُمْ، وَعَقَرَ فَهَرَبْتُمْ.

فمشكلة الذين حضروا في الجمل وبحسب القرآن لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، كما قال الباقر والصادق: (نزلت هذه الآية في طلحة والزبير والجمل جملهم) مشكلتهم ما هي؟ نقضوا بيعة الغدير، نقضوها عسكرياً، ونقضوها علمياً، ورفضوا مرحلة التأويل.

مفسرنا وعلمائنا ماذا فعلوا؟

فعلوا نفس الشيء، فحينما نراجع تفاسير علمائنا فإننا لا نجد أثراً ولا عيناً لهذا الذي قاله الباقر والصادق، لأننا سنرى بأنم أعيننا كيف تعاملت السقيفة وأتباعها وكيف تعامل مراجع الشيعة وعلمائهم مع الكتاب والعترة.

ختاماً أقول: لا تنسوا وفي آياتهم نزل الكتاب، فلماذا يا علماءنا تذهبون إلى غيرهم وتفسرون القرآن بأقوال غيرهم؟! لماذا؟! لماذا لا تتبعون منهجهم أنتم أيها الخطباء الحُسينيون؟! لماذا لا تفسرون القرآن كما يريد الباقر والصادق؟! لماذا؟! إنكم تنقضون بيعتكم الغديرية.

بِآلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ وَفِي آيَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ

في أمانِ الله..

وفي الختام:

لأبد من التنبيه إلى أننا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

المتابعة

القمر

1438هـ

2017 م

برنامج قُرَانُهُم... متوفر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv